وما سواها (110)

الملاحظـــــة والمُداحضـــــــة؟!!

http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa110-290216.pdf

د. صـــــادق السامرائـــــي
أمريكـــا - العـــراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

أدحضه: أبطل حجّته.

الملاحظة منبع النظريات ومنبثق القوانين وموئل الأفكار , ومولد البرامج والمناهج والخطط والمشاريع والمعالجات والحلول , وللملاحظة أصول ومهارات يتم بواسطتها تدوينها وتحليلها وتعليلها , وإستخراج ما فيها من آليات ومعادلات ومنطلقات إبتداءٍ وإرتقاء.

الملاحظة منبع النظريات ومنبثق القوانين وموئل الأفكار , ومولد البرامج والمناهج والخطط والمشاريع والمعالجات والحلول

وفي واقعنا العربي عموما لا نعطي أهمية حيوية للملاحظة في شتى صنوف التفاعلات الحياتية اليومية , وما تعلمنا كيف ندوّن الملاحظات وندرسها ونتعلم منها ونستولدها القوانين والنظريات وغيرها.

وفي واقعنا العربي عموما لا نعطي أهمية حيوية للملاحظة في شتى صنوف التفاعلات الحياتية اليومية

والواقع الحضاري البشري يؤكد تكرارا أن الملاحظة هي التي أوجدت الحضارة , وصنعت التقدم والمبتكرات وما إخترعه البشر في جميع المجالات.

والواقع الحضاري البشري يؤكد تكرارا أن الملاحظة هي التي أوجدت الحضارة , وصنعت التقدم والمبتكرات وما إخترعه البشر في جميع المجالات.

فإختراع الطائرة مبني على الملاحظة البسيطة التي أدرك الأخوان رايت آليات قراءتها , وكذلك معظم الأمراض والعلاجات , ففي الطب النفسي كان مبتدء العلاج وليد الملاحظة والنباهة , التي أوصلتنا لإكتشاف العلاجات الكثيرة.

ففي الطب النفسي كان مبتدء العلاج وليد الملاحظة والنباهة , التي أوصلتنا لإكتشاف العلاجات الكثيرة.

وما يثير الإنتباه ويسود في مجتمعاتنا العلمية , أنّ ما يُنشر ويُكتب ويُتعلم , لا يستند على الواقع المُعاش وإنما على نتاجات واقع آخر , فترانا نبحث في الأمور بكيفيات تطبيق ما أوجده المُلاحِظ في مجتمعات أخرى على مجتمعاتنا , وفي هذا يتم إرتكاب خطيئة علمية وإثم بحثي خطير وكبير , ومدمر ومعوق لأية خطوة رائدة أصيلة متفقة مع حاجات الواقع الذي نعيشه ونتفاعل معه.

وما يثير الإنتباه ويسود في مجتمعاتنا العلمية , أنّ ما يُنشر ويُكتب ويُتعلم , لا يستند

فالباحث العربي لا يبدأ بالملاحظة , وإنما بالنظرية الغربية عن واقعه ويحاول أن يبرهن تطابقها معه , وقد إرتكبتُ ذات الخطيئة عندما كنت أعمل في مجتمعنا , فأخذت أطبق مقياس بيك للإكتئاب على مرضانا , وكنت أحسب أن ذلك عمل جدير بالإهتمام , وبعد أن رحلت وعملت مع صاحب المقياس , أدركت محدودية الرؤية وضيق الأفق , والشعور بالإنكسار والدونية.

وحينما تأملت الذين نتبعهم , ونسمي ما قدموه من الإنجازات ربما بالمتميزة , توصلت إلى أن هناك خلل في إدراكنا وفهمنا لطبائع الأمور , ذلك أن النظريات التي نغرق فيها ونعمل على ضوئها , ليست سوى ملاحظات مدروسة , وتفاعلات ممنهجة موضوعة في إطار علمي وبحثي , ويتم تأهيلها للدراسة والإختبار بالسعي الدؤوب من قبل أصحابها لتقديم الحجة والأدلة اللازمة لتقوية صمودها

على الواقع المُعاش وإنما على نتاجات واقع آخر

وتنشيط دورها في الحياة , لأن في كل نظرية بعض الهفوات وتتقبل الإنتقادات.

وشعرت بالخيبة والأسف والألم , لأنني لم أجمع ملاحظاتي وأدرسها بمنظار بصيرتي وعناصر الواقع الذي أراها فيه , وإنما بعيون الآخرين وتصوراتهم ونظرياتهم , ووجدتهم يأنفون من سماع ما إعتادوا سماعه , ويسألونني عن ملاحظاتي في الواقع الذي كنت أعمل فيه , وما هي الفروقات وهل تقترب نظرياتهم منه.

فالباحث العربي لا يبدأ بالملاحظة , وإنما بالنظرية الغريبة عن واقعه ويحاول أن يبرهن تطابقها معه

تذكرت ذلك وأكثر , لما يردني من المقالات والبحوث , ومعظمها لا يستند على الملاحظة السريرية اليومية الدقيقة المرتبة الموثقة وفقا لمنهاج علمي مدروس , وإنما تشترك في أنها تريد إثبات نظريات الغير , وتأكيد ما ذهبوا إليه وإقترحوه من علاجات وإقترابات وتسويات وتفسيرات وتعليلات.

فالمطلوب أن نأتي بما هو أصيل ومتوافق مع واقعنا الذي نعيشه ونتأثر به

وكأن بلوغ هذا المرام يُعدُ قوة للبحث وشعورا بالفخر , وأجده العكس تماما , فالمطلوب أن نأتي بما هو أصيل ومتوافق مع واقعنا الذي نعيشه ونتأثر به , ومن واجبنا العلمي والأخلاقي أن نتعلم كيف ننمي ونطوّر مهارات الملاحظة , وكيفيات إلتقاط المفردات التي تتآزر لبناء نظرية وقانون يصلح لمواجهة التحدي السلوكي أو المرضي.

, ومن واجبنا العلمي والأخلاقي أن نتعلم كيف ننمي ونطوّر مهارات الملاحظة , وكيفيات إلتقاط المفردات التي تتآزر لبناء نظرية وقانون يصلح لمواجهة التحدي السلوكي أو المرضي.

والعجيب أننا نتناسى بأن النسبة العظمى من الأمراض والعلاجات الطبية قد أنجبتها الملاحظة العلمية المنهجية , وما نقوم به منذ نصف قرن أو يزيد , هو جديد تماما ودخيل على الطب!!

فالملاحظة أمّ الإبداع والإختراع!!

ووفقا لما تقدم يؤسفني القول بأن أبحاثنا التي نسميها علمية ليست ذات شأن ودور في الحياة العلمية , لأنها تستهلك ما جاء به الآخرون , ولا تحتوي ما يميزنا ويشير إلى واقعنا السلوكي التفاعلي , ولهذا تُحسب نشاطات روتينية فقيرة الأصالة والإضافة , فلا تساهم في الإتيان بمعلومة جديدة ذات قيمة تنويرية وتطويرية.

فالملاحظة أمّ الإبداع والإختراع!!

بينما لو كانت خالية من الإتكال على منتوجات الآخرين ومستندة على الملاحظة , فأنها ستكون جذابة مشوّقة ومؤثرة وذات دور متميز يحمل ملامح بيئتها وإنسانها.

ومن هنا فأن البحث في أي سلوك أو سمة وميزة يجب أن يرتكز على الملاحظة الدقيقة الأصيلة , لكي يساهم في تحقيق الدراسة العلمية ذات الإستنتاجات المتوافقة مع مفردات الواقع المتفاعلة معه , والتي تشترك في إنجاز نقلات نوعية نافعة.

تقدم يؤسفني القول بأن أبحاثنا التي نسميها علمية ليست ذات شأن ودور في الحياة العلمية , لأنها تستهلك ما جاء به الآخرون , ولا تحتوي ما يميزنا ويشير إلى واقعنا السلوكي التفاعلي

وعلة إهمال الملاحظة اليومية وبخسها , يطغى على جميع النشاطات والمستويات , ولهذا نعجز عن التقدم , ونميل إلى تبرير العجز وتسويغه , ولا نتمكن من وضع خطواتنا في الطريق الصائب الصحيح الموصل إلى ضفاف الأمل والرجاء السعيد.

فحتى الثورات التي قامت في مجتمعاتنا لم نتمكن من دراستها وتجميع الملاحظات وتدوينها وتحليلها وإستيلادها القوانين والنظريات , وإنما نذهب إلى ما هو جاهز في بيئات أخرى ونفرضه على واقع لا يعرفه , وهذا ما فعلته جميع الأحزاب وبلا إستثناء في الواقع العربي , مما أودى بها إلى الفشل والإنكسار والخسران الفظيع.

فأن البحث في أي سلوك أو سمة وميزة يجب أن

أضف إلى ذلك كافة النشاطات والتفاعلات الحاصلة في المجتمع , ففي المجتمعات المتقدمة لايفلت نشاط من التقييم والبحث والدراسة للوصول إلى ما هو جديد وأفضل , فأي عمل مهما كان حجمه , (حتى أسلوب التفاعل مع المريض أو الزبون) , يكون خاضعا لمعايير الملاحظة المدروسة , والإستنتاج الناجم عنها والكفيل بتقوية وتطوير العمل , سواءً في العيادة أو المستشفى أو المؤسسة أو الدائرة والمصنع والشركة , وعندنا تنتفي هذه الإقترابات الحيوية , ولهذا فأن المشاكل تتراكم والمسيرة تتعضل وتتقهقر.

فلا يمكننا أن نتقدم ونكون في هذا العصر إذا أغمضنا عيوننا , وتنامت في ربوعنا أمية الملاحظة , وعدم القدرة على النباهة والتحفز والإدراك , والقراءة والدراسة والتقييم والتحليل والإستنتاج الصالح البصير.

وبخصوص العلوم النفسية , فأن جوهرها الملاحظة الدقيقة , وكافة نظرياتها وقوانينها ومعادلاتها وإضطراباتها وعلاجاتها , أوجدتها الملاحظة المدروسة , وأسست لما نحن عليه من قدرات علاجية ومعرفية بالأمراض النفسية والإضطرابات السلوكية , ولا تزال الملاحظة منبع الإختراع والتقدم والشفاء , وعليه فأن من واجبنا ومسؤوليتنا أن ندوّن الملاحظات وندرسها ونقدمها بشكل علمي مقنع يمثل بيئتنا ومعاناة إنساننا.

فلا يمكن الجزم بأن التداخلات العلاجية النفسية متطابقة , لكنها متشابهة بنسب متفاوتة ما بين المجتمعات البشرية.

كما أن الإقترابات ذات تأثيرات ثقافية وبيئية معروفة.

وهذه العثرة العلمية هي التي أسهمت في تحجيم الوعي العربي , وتدمير قدرات الإنطلاق , لأنها إستسهلت الجاهز من النظريات والتصورات , وهذا ما وقع فيه رواد النهضة العربية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر, وبسببه أوصلونا إلى واقع متأسّن , ومندحر في الغابرات , لإهمالهم الملاحظة بالكامل , وعدم قدرتهم على إتخاذ منهج البحث العلمي كوسيلة للتقدم والرقاء , مما جعل الأجيال تعيش أمية بحثية , ولا تزال العقلية العربية عسيرة التقبل لمناهج البحث العلمي , وتحسبها بلا قيمة ودور في الحياة , بينما يجب أن تكون الأساس لكل نشاط في حياتنا.

فكل ما هو جاهز مرغوب , وكل ما هو بحاجة لبحث مشجوب!!

وعليه فمن الواجب أن نقلب معادلاتنا الإقترابية , بتنمية الرغبة في البحث العلمي الأصيل المبني على الملاحظة الجديرة بالدراسة والتحليل والتعليل والإستنتاج والتقويم , فهكذا تتقدم الأمم وتبني نظريات سلوكها المرتقي , وتبتكر آليات تفاعلاتها مع التحديات.

فهل سنستوعب مناهج الإقترابات العلمية , ونحقق ثورة عقلية علمية , نستعيد بها دورنا وقيمتنا الحضارية والإنسانية؟!!

*** *** ***

يرتكز على الملاحظة الدقيقة الأصيلة , لكي يساهم في تحقيق الدراسة العلمية ذات الإستنتاجات المتوافقة مع مفردات الواقع المتفاعلة معه , والتي تشترك في إنجاز نقلات نوعية نافعة.

, ففي المجتمعات المتقدمة لايفلت نشاط من التقييم والبحث والدراسة للوصول إلى ما هو جديد وأفضل , فأي عمل مهما كان حجمه ,

فلا يمكننا أن نتقدم ونكون في هذا العصر إذا أغمضنا عيوننا , وتنامت في ربوعنا أمية الملاحظة , وعدم القدرة على النباهة والتحفز والإدراك , والقراءة والدراسة والتقييم والتحليل والإستنتاج الصالح البصير.

فمن الواجب أن نقلب معادلاتنا الإقترابية , بتنمية الرغبة في البحث العلمي الأصيل المبني على الملاحظة الجديرة بالدراسة والتحليل والتعليل والإستنتاج والتقويم , فهكذا تتقدم الأمم وتبني نظريات سلوكها المرتقي , وتبتكر آليات تفاعلاتها مع التحديات.

شبكة علوم النفس العربية
نحو لياقة نفسانية أفضل
Arabpsynet